النَّصِيحَة

مَفْهُومُهَا وَفَضَائِلُهَا وَضَوَابِطُ مُهِمَّةٌ فِيهَا

للشيخ الفاضل:

أبي عبد الرحمن رشاد بن أحمد الضالعي

دَارُ الْحَدِيثِ السَّلَفِيَّةِ
لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ بِالضَّالِعِ

النصيحة

مفهومها وفضائلها وضوابط مهمة فيها

أبو عبد الرحمن
رشاد بن أحمد الضالعي
وفقه الله وسدده

دار الحديث السلفية للعلوم الشرعية بمدينة الضالع

١٤٤٣هـ

دار الحديث السلفية للعلوم الشرعية بمدينة الضالع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١]

أما بعد:

اعلموا أنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

أيها الإخوة في الله، نحمد الله سبحانه وتعالى الذي جمعنا وإياكم في هذا المكان المبارك، في بيت من بيوت الله، لمذاكرة شيءٍ من كلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فنسأل الله تعالى أن ينفعنا وإياكم بهذا اللقاء، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

ونشكر أخانا الشيخ عبد الله الرَّيْني على ترحابه وحُسْن ضيافته، وهكذا نشكر جميع إخواننا على حضورهم واجتماعهم في هذا المكان، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا جميعا بهذا الاجتماع(١).

وسأتكلم معكم حول حديث من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، حديث يَكثُر تَرداده على الأسماع، ولكنه حديث عظيم النفع، كثير الفائدة، وهو ما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبي رُقيَّة تَميمٍ بن أوس الدَّارِيِّ رضي الله عنه - الذي أتى النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا من أرض الشام، وكان قبل ذلك نصرانيا، فيروي لنا هذا الحديث العظيم - أَنَّ نَبِيَّنا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»**. قُلْنَا: لِمَنْ يا رسول الله ؟ قَالَ: **«لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْـمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»**.

فهذا الحديث العظيم الذي قال فيه الإمام النووي - رحمه الله - إنه يدور عليه الإسلام، ونقل عن بعض أهل العلم أنه قال: إنه رابع أربعة أحاديث يدور عليها الإسلام، ثم انتقد النووي - رحمه الله - هذا القول، وقال: بل يدور الإسلام على هذا الحديث

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة كنتُ ألقيتُها في محافظة عدن منطقة الـخَيْسَة في مسجد أخينا عبد الله الريني جزاه الله خيرا، وكان ذلك في ليلة السبت ٤/ جمادى الآخرة/ ١٤٤٣هـ، ثم قام أخونا المبارك أحمد الجابري جزاه الله خيرا وبارك في وقته بتفريغها من التسجيل، ثم راجعتُها، فكانت في هذه الرسالة، أسأل الله أن ينفع بها.

وحده، أي يدور الإسلام وأحكامه وتعاليمه على هذا الحديث العظيم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». فحَصَر الدين في النصيحة، جعل الدين كلَّه هو النصيحة، فإن هذه الجملة «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». مبتدأ وخبر، ومعلوم عند أهل اللغة، أن الجملة الأسمية إذا عُرِّف طرفاها – المبتدأ والخبر – أفادت الحصر، فالمبتدأ مُعرَّف وهو قوله: «**الدِّينُ**». والخبر مُعرَّف وهو قوله: «**النَّصِيحَةُ**». ، فيفيدُنا فائدة عظيمة: أن الدين كلَّه – بدون استثناء – محصور في النصيحة.

ولذا لما سمع الصحابة ﭫ هذه المقالة العظيمة، وهذه الكلمة الجامعة من الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا: لمن يا رسول الله؟ لمن تكون النصيحة التي هي الدين؟ فقال: «**لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْـمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**».

فتكون النصيحة لله جل وعلا، وتكون لكتابه، وتكون لرسوله ﷺ، وتكون لأئمة المسلمين، وتكون لعامَّة المسلمين.

فالنصيحة لله بمعنى: إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وإخلاص النية له في كل العبادات.

النصيحة لله جل وعلا: تعظيمه وتوقيره وإجلاله.

النصيحة لله جل وعلا: امتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، فمن فعل ما أمره الله، وترك ما نهاه الله تعالى عنه فقد نصح لله، فالنصيحة لله جل وعلا شاملة لذلك كلِّه.

والنصيحة لكتاب الله: الإيمان به، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

النصيحة لكتاب الله: بالتصديق أنه حق من عند الله سبحانه وتعالى.

النصيحة لكتاب الله: باعتقاد أنه كتاب معصوم ﴿**لا يَأتيهِ الباطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلا مِن خَلفِهِ**﴾.

النصيحة لكتاب الله تعالى: باعتقاد أنه كتاب ناسخ لكل الكتب السابقة، ومهيمن عليها كما قال الله سبحانه: ﴿**وَأَنزَلنا إِلَيكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكِتابِ وَمُهَيمِنًا عَلَيهِ**﴾.

والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: بالتصديق برسالته ونبوته، وأنه رسول الله تعالى حقا.

النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: بالدفاع عنه وعن دينه وسُنَّتِه.

النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: بأحياء سُنَّته ونشرها بين الناس والعمل بما جاء به ﴿**وَما آتاكُمُ الرَّسولُ فَخُذوهُ وَما نَهاكُم عَنهُ فَانتَهوا**﴾.

النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: باحترام صحابته وأهل بيته – رضي الله عنهم أجمعين – فمن فعل ذلك فقد نصح لرسول الله ﷺ، وأما من لم يصدِّق برسالته، أو لم يتَّبع ما جاء به، أو لم يدافع عنه وعن دينه وصحابته، فهذا ما نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن النصح بمعنى الصدق، فالذي لم يفعل ذلك ما صدق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والنصيحة لأئمة المسلمين: تشمل النصيحة لأُمرائهم وعلمائهم، فكلهم من أئمة المسلمين، فالنصيحة لأمرائهم بجَمِع الكلمة عليهم، وبِعَدَم شَقِّ العصا عن طاعتهم، وبعدم تأليب الناس وتثويرهم عليهم، النصيحة لهم بإعانتهم على الأمر الذي حملوه وكُلِّفوه، وهكذا بإزالة ما يعلق في قلوب الناس من الأفكار الخاطئة في معاملتهم، فهذه النصيحة لأئمة المسلمين، فمن لم يفعل ذلك ما نصح لهم، وما قام بهذا الواجب العظيم الذي هو واجب النصيحة.

وهكذا النصيحة لأئمة المسلمين من العلماء، فإنهم من أئمة المسلمين كما قال الله تعالى عنهم: ﴿**وَإِذا جاءَهُم أَمرٌ مِنَ الأَمنِ أَوِ الخَوفِ أَذاعوا بِهِ وَلَو رَدّوهُ إِلَى الرَّسولِ وَإِلى أُولِي الأَمرِ مِنهُم** –أي: إلى العلماء الذين هم أولوا أمرهم – **لَعَلِمَهُ الَّذينَ يَستَنبِطونَهُ مِنهُم**﴾

فالنصح لهم بمحبتهم وبَثِّ علومهم، وبعدم الافتئات عليهم وظلمهم ورميهم بما لا يليق بهم، فإن من فعل ذلك لم ينصح لأئمة المسلمين.

والنصيحة لعامة المسلمين: تشمل النصيحة لعموم الناس بدون استثناء، وتكون بإرشادهم إلى ما ينفعهم، وتحذيرهم مما يضرهم، فمن أرشد المسلمين إلى ما ينفعهم، وحذّرهم من الشيء الذي يضرهم فقد نصح لهم.

فبهذا تعلم أن هذا الواجب الذي هو واجب النصيحة، ليس بالأمر اليسير إلا على من يَسَّره الله تعالى عليه.

وبهذا يتبين كيف صار أمر النصيحة شاملا للدين كلِّه، ولذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». إذاً الدين كله هو النصيحة.

نصيحة لله، نصيحة لرسوله، نصيحة لكتابه، نصيحة لأئمة المسلمين، نصيحة لعامتهم، فمن فعل ذلك أدَّى هذا الواجب، وإذا أدَّى هذا الواجب يكون قد قام بهذا الدين.

* حكم النصيحة:

لا خلاف بين العلماء في أن النصيحة فرضٌ واجبٌ لأدلة الأمر بها، وهي كثيرة في الكتاب والسنة، والأصل أن الأمر يفيد الوجوب، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس على النصح لكل مسلم كما يبايعهم على الصلاة والصيام، جاء في حديث

جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله البجلي ﷺ في الصحيحين، قَالَ : «بَايَعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

فكان النبي صلى الله عليه وسلم، يبايع من يُسلِم على النصح لكل مسلم، كما يبايعه على الصلاة والصيام، وهذا مما يبين أن النصيحة فرض واجب.

أيها الإخوة في الله إن هذا الأمر، وهو أمر النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، من الأمور المهمة التي يحتاجها كل مسلم، وفي هذا المقام اليسير، نقف معكم على نبذة مختصرة في هذا الواجب العظيم.

وحتى لا نَتشعَّب فنختصر الكلام - إن شاء الله - في ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: في معنى النصيحة، والفرق بينها وبين التعيير.

النقطة الثانية: في فضائل النصيحة وثمراتها وفوائدها، وفيه إشارة إلى مفاسد ترك النصيحة.

النقطة الثالثة: في أمورٍ مهمة ينبغي مراعاتها في النصيحة لكل من أراد القيام بها.

الأمر الأول: معنى النصيحة:

النصيحة عند أئمة اللغة تدور على معنيين:

المعنى الأول: الملائمة بين الشيئين والمقاربة بينهما. فكُلُّ من قارب بين شيئين ولائم بينهما يُقال له: نَصَحَ ونَاصِحٌ، ولذا يُسمّى الـخَيَّاط ناصحا؛ لأنه يجمع بين أطراف الثياب ويقرّب بينها ويجعلها متلائمة.

فهذا المعنى الأول من معاني النصيحة التئام الأمور والتقريب بينها، التقريب بين ما تباعد منها، والجمع بين ما تفرّق منها.

المعنى الثاني: الإخلاص والتصفية وإزالة الشوائب، وعدم الغِش، ولذا يقال: فلان نصح في مودته لفلان، أي أخلص فيها وصفَّاها من كل شائبة، ويقولون: نصحتُ العسل، بمعنى صفَّيتُه من الشوائب التي فيه، لأن العسل فيه شوائب من آثار بيوت النحل، ومن آثار المواضع التي يُخرج منها العسل، فتصفية العسل من هذه الشوائب يُسمّى نُصحاً، ونصح العسّال العسل أي صفاه وخلّصه من كل شائبة.

فإذا علمنا معنى هذه الكلمة في لغة العرب، فإننا نعرف ما هو المراد بالنصيحة:

فالنصيحة إذاً إخلاص للمنصوح له.

النصيحة تصفية كل شائبة عند المنصوح له.

النصيحة لَـمُّ أمور المنصوح المتفرقة وجمْع شمله المشَتَّت.

فإذا نصحت شخصا فمعناه أنك تخلِّصه وتصفيه من كل شائبة، تريد نفعه بتلك النصيحة، إذا نصحت شخصا معناه أنك تريد تلائم أموره التي هي متفرقة ومشتَّتة.

فالنصح على هذا أمر عظيم، ولذا قال أهل العلم في معنى النصيحة: «أنها إرادة حيازة الخير للمنصوح له».

فالناصح يريد بنصيحته أن يحوز الخير لأخيه المسلم، لا يريد توبيخه، ولا يريد ذَمَّه والتشنيع عليه، لا يريد شفاء صدره وإخراج ما في قلبه على أخيه بصورة نصيحة، لا يريد تقريعَ أخيه و توبيخَه، بل يريد نفعه، ويريد أن يحوز له الخير، وأن يبعد عنه الشر، فمن فعل ذلك بأن بَذَلَ لأخيه النصح والإرشاد بهذه النية فهو ناصح، ومن فعل ذلك بنية الذم والعيب والتقريع والتوبيخ فهو شامت ومعيّر وليس بناصح، وقد ألَّف الحافظ ابن رجب - رحمه الله - رسالة مختصرة سماها: "الفرق بين النصيحة والتعيير".

فإن بعض الناس قد يغلط أو يغالط، إما أنه يغلط؛ لأنه لا يفرّق بين النصيحة والتعيير، أو يغالط السامعين وهو لا يريد النصح وإنما يريد الذم والعيب وإخراج ما في صدره من غِلٍّ وحقْدٍ على أخيه ويجعله بصورة نصيحة، وهذا كثير إن لم يجاهد الإنسان نفسه ويحاسبها، فكم ممن يدَّعِي النصح وليس بناصح، فقد قال الله تعالى عن إبليس: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ يحلف إبليس ويقسم أنه ناصح لآدم وحواء، وهو

ليس بناصح، وهكذا قال الله تعالى عن إخوة يوسف الذين أرادوا قتله والتخلّص منه: ﴿قالوا يا أَبانا ما لَكَ لا تَأمَنّا عَلى يوسُفَ وَإِنّا لَهُ لَناصِحونَ﴾ يقولون: هذا أخونا ونحن ناصحون له، وهم في الحقيقة كائدون له، فأظهروا كيدهم له، وتدبيرهم لإيقاع الشرِّ به، في صورة نصيحة.

ولذا فيجب الحذر من الخلط بين الأمرين، بين النصيحة والتعيير، فالنصيحة عبادة، النصيحة هي الدين، والتعيير ذنب ومعصية، فلا يخلط الإنسان بين ما هو معصية وبين ما هو عبادة وطاعة، وليحذر من الغلط في ذلك فإن النصيحة يبذلها الإنسان لرجاء مصلحة عامة، لعامة المسلمين، أو مصلحة خاصة ببعض المسلمين، أو مصلحة المنصوح نفسه، فهذه النصيحة ولا تكون إلا كذلك إما لمصلحة المسلمين عامة ينصح للمسلمين ويحذرهم من شر يخاف أن يقعوا فيه، هذه نصيحة لمصلحة عامة، أو مصلحة خاصة ببعض المسلمين، يحذَّر شخصا وينصحه ألَّا يخالط فلانا، وألَّا يجالس فلانا، وألَّا يُزوِّج ابنته فلانا، وألَّا يشارك فلانا في تجارة، فهذه نصيحة يرجو من ورائها مصلحة خاصة لهذا الشخص الذي نصحه، أو يكون المراد من ذلك مصلحة المنصوح نفسه، يرى المنصوح على خطأ، وعلى خلاف الصواب فينصحه يريد بذلك مصلحته، يريد بذلك نفعه وإزالة العيب عنه، فهذه النصيحة، وأما التعيير والتوبيخ والشماتة، فإنه يُشْبِهُ النصيحة فيأتي واعظاً لغيره ولكن المراد بذلك الذم، المراد بذلك العيب، المراد بذلك

نشر وإفشاء عيوب فلان من الناس، المراد بذلك شفاء ما في صدره من غيظ أو غلٍّ على أخيه المسلم، فهذه ليست بنصيحة وإن زيَّن له الشيطان أنها نصيحة، فليحاسب نفسه، فإن النصيحة صافية، النصيحة خالصة من كل شائبة، ليس فيها إلا إرادة الخير للمنصوح له، فعلى هذا إذا أردت أن تنصح لأخيك سواء نصيحة سِرِّيَة فيما بينك وبينه – وهذا هو الأصل فيها كما سيأتي بيانه إن شاء الله – أو نصيحة جهرية إذا اقتضى المقام ذلك، كأن يكون خطأُ أخيك قد انتشر وشاع ولا يمكن تداركه إلا بأن تنصح عَلَنًا، فحاسب نفسك هل تنصح لمصلحة عموم المسلمين؟ هل تنصح لمصلحة بعض المسلمين على أقلِّ تقدير؟ هل تنصح لأجل مصلحة المنصوح نفسه؟ لأجل لا يزداد أثمه ولا يستمر في الخطأ ولا يقع في الضرر؟ أم أنك تنصح تريد إشاعة عَيْبِه؟ تريد نشر خطئه؟ تريد ذَمَّهُ وتوبيخه؟ تريد إفراغ ما في قلبك من غلٍّ على أخيك؟ يجب على المسلم أن يحاسب نفسه على ذلك، ونسأل الله تعالى أن يعيننا على ذلك جميعا.

هذا الأمر الأول وهو معنى النصيحة.

الأمر الثاني: فضائل النصيحة وثمراتها:

إذا عرفنا معنى النصيحة، فلنعلم أن للنصيحة فضائل عظيمة، وثمرات كثيرة في الدنيا وفي الآخرة، فمن أعظم فضائلها:

١) أنها طريق الأنبياء، فكان كلُّ الأنبياء نَصَحَةً لأممهم، ما جاء الأنبياء إلى الناس إلا لنصحهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما الذي أخرجه الإمام مسلم: «**ما من نَبِيٌّ بعثه الله قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ** - أي واجبا عليه - **أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَـهُمْ، وَأن يُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَـهُمْ**».

فكل الأنبياء أوجب الله تعالى عليهم أن يَدُلُّوا أممهم على خير ما يعلمونه لهم، وأن يحذروهم من شر ما يعلمونه لهم، وهذه هي النصيحة بعينها، هذا هو النصح أن يدل الناس على الخير الذي يعلمه لهم، وأن يحذِّرهم من الشر الذي يعلمه لهم.

ولذا تأمل أنبياء الله تعالى ماذا قالوا لقومهم؟ قال الله تعالى عن نوح أنه قال لقومه: ﴿**أُبَلِّغُكُم رِسالاتِ رَبّي وَأَنصَحُ لَكُم**﴾ أي جئت بهذا الأمر، جئت أبلغكم الرسالة التي أرسلني الله تعالى بها وأنصح لكم، وقال الله تعالى عن هود أنه قال لقومه: ﴿**وَأَنا لَكُم ناصِحٌ أَمينٌ**﴾ أي أُريد أن أنصحكم وأنا أمين على هذه النصيحة، وقال الله تعالى عن نبيه صالح أنه قال لقومه: ﴿**قالَ يا قَومِ لَقَد أَبلَغتُكُم رِسالَةَ رَبّي وَنَصَحتُ لَكُم وَلكِن لا تُحِبّونَ النّاصِحينَ**﴾ ونحو ذلك قال الله تعالى عن شعيب أنه قال لقومه: ﴿**يا قَومِ لَقَد أَبلَغتُكُم رِسالاتِ رَبّي وَنَصَحتُ لَكُم فَكَيفَ آسى عَلى قَومٍ كافِرينَ**﴾.

فأنبياء الله تعالى كلهم جاءوا بالنصح للأمم، فالناصح للمسلمين سائر على طريق الأنبياء والمرسلين، ولذا جاء في حديث جابر الطويل في صحيح الإمام مسلم، أن نبينا صلى الله عليه وسلم حين خطب في حجة الوداع قال للناس: «**وَأَنْتُمْ مسْؤولُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟** قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ».

هذه شهادة المؤمنين للنبي صلى الله عليه وسلم في آخر حياته في حجة الوداع: «نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ» فهذه وظيفة أنبياء الله ورسله النصح للأمم، فالناصح لا يحتقر عمله، ولا يستصغر ما يقوم به سواء نصح نصيحة عامة، أو نصيحة فردية، ولو أخذ شخصا ينصحه في أيسر الأمور فهو سائر على طريق الأنبياء والرسل.

٢) النصيحة من حق المسلم على المسلم، فإذا لم ينصح المسلم أخاه المسلم فقد ضيَّع حقا من حقوقه، وإذا ضيَّع حقا من حقوقه حصلت مفاسد كثيرة من وراء ذلك، جاء في صحيح الإمام مسلم وأصل الحديث في الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**حَقُّ الْـمُسْلِمِ عَلَى الْـمُسْلِمِ سِتٌّ** - وذكر منها -: **وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ**».

إذا استنصحك واستشارك أخوك المسلم، أي طلب منك النصيحة والمشورة فانصح له، فإن علمت أن ذاك الشيء الذي استنصحك فيه خير فأَشِرْ عليه به وشجِّعه عليه، وإن

علمت أنه شر فحَذِّرْه منه، وإن علمت أنه مشتمل على المصالح والمفاسد والخير والشر، فبَيِّن له ذلك واشرح له، هذا من حق المسلم على المسلم، النصيحة له، ولذا من لم ينصح متوعد بالوعيد العظيم كما جاء في حديث مَعْقِلٌ بن يسار في الصحيحين أن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَا مِنْ راعٍ يسترعية الله رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْـجَنَّةِ»**.

وهذا يشمل كلَّ راعٍ، فالأب راعٍ فإذا لم ينصح لرعيته ومن تحت يده لم يجد رائحة الجنة، والأم راعية، والخادم راعٍ في مال سيده، والإمام راعٍ، والولايات الخاصة رعاية، ما من راعٍ يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصحه، ويخلص بالنصيحة لها إلا لم يجد رائحة الجنة، فالنصيحة أمرها عظيم، ولذا كان الوعيد الشديد في حق من ضيّع هذا الواجب العظيم.

٣) ومن فضائل النصيحة وفوائدها العظيمة: أنها تُؤلِّف القلوب، وتصفِّي الصدور من كل شائبة، أشار نبينا صلى الله عليه وسلم إلى هذا المقصِد العظيم والفائدة النبيلة في الحديث الذي جاء عن جماعة من الصحابة ﷺ وهو حديث متواتر، جاء عن النعمان بن بشير وعن المغيرة بن شعبة وعن عبد الله بن مسعود وعن غيرهم من الصحابة ﷺ، أن النبي الله صلى عليه وسلم قال: **«ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امرئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِله، وَالنَّصِيحَةُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتهم تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»**.

فهذه ثلاث خصال إذا وجدت عند المسلم لا يكون في قلبه غِل، هذه الثلاث تصفِّي الصدر من الغل، إخلاص العمل لله، فإن المخلص لا يريد بأعماله الناس، وإنما يريد بها رب العالمين، فسواء أثنى عليه الناس أو ذَمُّوه لا يبالي، فقلبه صافٍ من هذه الأمراض، وهكذا النصيحة للمسلمين تُزيل الغل، وذلك لأن المسلم إذا رأى من أخيه المسلم خطأً: ذنبا ومعصية، فإذا كتم النصيحة ولم ينصح أخاه ولم يُبيِّن له، تَحوَّل هذا الكتمان للنصيحة في صدره إلى غل، فلا يدري إلا وقد امتلأ صدره غلا على أخيه المسلم، يقول: فلان عاصي، فلان يرتكب المحرمات، فلان يفعل ويفعل من المنكرات، ولو أنه نصحه لاستفاد فوائد كثيرة:

أولا: يقوم بهذا الواجب الذي أوجب الله عليه.

ثانيا: ينفع أخاه المسلم، فيترك ذلك الذنب الذي كان عليه، فأخوك المسلم الذي يعمل معصية وأنت انقبضت منه قد يكون جاهلا، يحتاج أنك تعلمه، وقد يكون غافلا يحتاج أنك تنبهه، فإذا نصحته استفاق، وتبين له أنه كان في غفلة.

ثالثا: أن الغل يزول من قلبك على أخيك، والله كم من إنسان امتلأ قلبه غلا على أخيه؛ لأنه رآه على مخالفة أو معصية أو منكرات، ولم ينصحه، ولو نصحه لنفع أخاه بأن يخرجه من معصية الله ومن المخالفة، ولَنَفَعَ نفسه بأن يصفي صدره على أخيه، فبكتمان

النصيحة، لا سلم أخوك من المعصية بل هو مستمر فيها، ولا سلمتَ أنت من الغل والحقد عليه، فالنصيحة تصفي الصدر، إذا جاء الإنسان إلى أخيه الذي يراه على الخطأ يقول: يا أخي هذا الشيء محرم، هذا الشيء منكر ومعصية، قال الله تعالى كذا، وقال الرسول ﷺ كذا، فيترك أخوه المعصية ويعود إلى الطاعة بنصحه له.

فمن أعظم فوائد النصيحة أنها تُزيل الغل من الصدور، وكم من أخ نزغ الشيطان بينه وبين أخيه، كم من أخ افترق مع من يحبه، بسبب عدم التناصح، ولو نصح لأخيه لانتفع أخوه وانتفع هو، وأرغموا الشيطان الرجيم الذي يريد أن يجعل في قلوبهم الغل على بعضهم البعض.

فإذاً بذل النصيحة من فوائده العظيمة تصفية الصدور وتنقيتها، ولذا فأنقى الناس صدرا للناس هو الناصح لهم، وعلى قدر نصحك للناس يكون صدرك نقيا عليهم، وكلما كنتَ كاتما للنصيحة، عدم باذلٍ لها، كلما امتلأ قلبك غلا على أخيك، بل ربما يمتلئ قلب الإنسان غلا على ولده، أو على زوجته، أو على جاره، أو أقرب الناس إليه؛ لأنه لم ينصحه.

ولذا انظر الخوارج والروافض الذين لا ينصحون للمسلمين، تجدهم أعظم الناس غلا على المسلمين، يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم؛ لأنهم لم ينصحوا للمسلمين ولم يلزموا جماعتهم.

فمن فوائد النصيحة العظيمة: تنقية الصدور من الغل، وجرّب ذلك تجد أثره، جرّب النصيحة وانظر كيف تنقي صدرك، وجرّب الكتمان وانظر كيف يملأ قلبك غلا وغيظا على إخوانك.

٤) من فوائد النصيحة: أنها سبب لزوال المعاصي والمحرمات والمنكرات، فإذا نصح الناصحون قَلَّ الشر، وإذا سكتوا فشا الشر وانتشر، فنصيحة الناصح علاج لتقليل الشرور وإزالتها، وعدم النصح سبب في فشوها وانتشارها بين المسلمين، فلذا من أعظم الأمور التي تُواجَه بها المخالفات والمحرمات والمنكرات الفاشية هو النصح والتذكير وعدم الملل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فإن المقصود من النصيحة أمران عظيمان:

الأمر الأول: نفع المنصوح، تريد أن تنفعه وأن تُخلِّصه من ذلك الذي تراه خطأ أو منكرا أو محرما، فهذا أول مَقصِد من مقاصد النصيحة، نفع المنصوح له، ولذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة ﷺ في سنن أبي داود: «**الْـمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْـمُؤْمِنَ**».

ولك أن تتخيَّل إنسانا توضأ ولبس ثيابه وعمامته ليخرج يصلي، وقد يكون في ثوبه أو في لحيته أو في وجهه شيء من القذى أو الوسخ، وهو لا يدري ولا يشعر به، فإذا وقف أمام المرآة ظهر له هذا العيب، رأى هذا القذى أو الوسخ الذي في وجهه، أو في ثوبه أو في لحيته فأزاله، هكذا المؤمن لأخيه المؤمن كالمرآة يوضح له عيبه ليزيله، يوضح له خطأه ليتخلص منه، فالمؤمن للمؤمن كالمرآة، فأعظم مقصود في النصيحة هو إبعاد الخطأ والمخالفة عن أخيك المسلم، أن تنفع المنصوح له وتريد أن تخلِّصه من الأخطاء، وإذا لم تنصح له لا ينتفع، كم من إنسان أنقذه الله تعالى من النار بنصيحة ، ألم يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم على يهودي ويقدم له نصيحة أنقذته من نار جهنم دخل إليه وهو مريض فقال له: «**أَسْلِمْ**» فَالتفت الغلام إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ : أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَسْلَمَ، ثم مات فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «**الْـحَمْدُ لله الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**». فالمقصد الأول من مقاصد النصيحة أن تنفع أخاك المسلم.

الأمر الثاني من مقاصد النصيحة: أن تُبْرِئَ ذمتك، فإنك مسؤول أمام الله جل وعلا إذا لم تنصح، فإذا نصحت برئت ذمتك، ولذا لما ذكر الله تعالى أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر وهم من اليهود، الذين كانوا يحتالون في الصيد، نهاهم الله تعالى عن الاصطياد يوم السبت، فكانت الحيتان يوم السبت تخرج على ظهر البحر فإذا ذهب

السبت اختفت الحيتان، ابتلاء من الله جل وعلا ابتلاهم به: ﴿**وَاسأَلهُم عَنِ القَريَةِ الَّتي كانَت حاضِرَةَ البَحرِ إِذ يَعدونَ فِي السَّبتِ إِذ تَأتيهِم حيتانُهُم يَومَ سَبتِهِم شُرَّعًا وَيَومَ لا يَسبِتونَ لا تَأتيهِم كَذلِكَ نَبلوهُم بِما كانوا يَفسُقونَ**﴾. فاحتالوا، جعلوا الشِّبَاك في البحر يوم الجمعة، وأخرجوها من البحر يوم الأحد وقد امتلأت أسماكا، فبعض الصالحين قام ينصحهم، لا تفعلوا هذا الفعل أنتم خالفتم أمر الله، قالوا: نحن لا نصطاد في يوم السبت، فبيَّن لهم الناصحون أنهم خالفوا أمر الله، وأن هذه الحيلة لا تُخرجهم من المخالفة، فقامت طائفة ثالثة تقول: لماذا تنصحونهم؟ هؤلاء هالكون، هؤلاء سيعذبهم الله، فلماذا تنصحونهم؟ ﴿**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا**﴾ بماذا أجاب الصالحون؟: ﴿**قالوا مَعذِرَةً إِلى رَبِّكُم**﴾ لكي نُعذَر عند الله، نقوم بهذا الواجب لأجل أن لا نأثم. ﴿**وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ وهذه الفائدة الثانية: لعلهم يتقون، ممكن أن ينتفعوا ممكن أن يتعظوا ويتركوا هذا الأمر المحرم.

فإذاً القصد من النصيحة أمران عظيمان: إزالة المنكر والمخالفة عن المنصوح، والمعذرة للناصح أمام الله عزَّ وجل؛ لأن الله سيسأله إذا لم ينصح لماذا لم ينصح، وقد عُذِّبت أمم بسبب عدم النصح.

وبهذا نعلم هذه الفائدة العظيمة من فوائد النصيحة أنها سبب في إزالة الشرور وتقليل المخالفات والمنكرات.

٥) من فوائد النصح أيضا: أن الناصح الصادق في نصيحته يرفعه الله تعالى، يرفع الله قَدرَه عنده وعند عباده، فترى المسلمين يُكِنُّون له الحب والإجلال والاحترام والتقدير لأنه ناصح، يعلمون أن فلانا ناصح، وربما قد يصدر منه في بعض الأوقات نصح بغلظة؛ ولكنهم يقبلون منه؛ لأنهم يعلمون أنه ناصح، وهذا من رفعة الله تعالى له، فيكون له مكانة في مجتمعه وبلده، وهكذا تكون له الرفعة عند الله تعالى، وهذا هو المقصود الأعظم، فالناصح مرفوع، وقد ذكر ابن رجب رحمه الله في "جامع العلوم والحكم" عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: والله ما أدرك من أدرك - أي بلغ المراتب العالية - بكثرة الصلاة والصيام، ولكن أدرك من أدرك بسخاوة النفس والنصح للأمة[٢].

---

(٢) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في "جامع العلوم والحكم" ص(٢٢٥): وَقَالَ ابْنُ عُلَيَّةَ فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ الْـمُزَنِيِّ: مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أَصْحَابَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ (ابن عُلَيَّة): الَّذِي كَانَ فِي قَلْبِهِ الْـحُبُّ لله عَزَّ وَجَلَّ، وَالنَّصِيحَةُ فِي خَلْقِهِ.

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: مَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا مَنْ أَدْرَكَ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَإِنَّمَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا بِسَخَاءِ الْأَنْفُسِ، وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ، وَالنُّصْحِ لِلْأُمَّةِ.

كان العلماء نَصَحَةً، فرفعهم الله وأدركوا مراتب الكمال، وأدركوا المراتب العظيمة بنصحهم للأمة، فلا تتردد في النصيحة، بل بادر إليها مهما كان، انصح للصغير والكبير بحسب ما تراه مناسبا، وبما يكون موافقا للشرع، والله سبحانه وتعالى سيرفع قدرك، وسيُجرِي على يديك خيرا كثيرا.

هذا هو الأمر الثاني الذي سنتحدث عنه في هذه الليلة: وهو ذكر بعض الفوائد والفضائل للنصيحة.

الأمر الثالث: في أمور مهمة، ينبغي للناصح أن يراعيها في نصيحته:

فإن الناس تختلف طباعهم، فمن المنصوحين من يكون سريع التقبُّل، ومنهم من يكون شديدا بطيء التقبُّل، من المنصوحين من يكون صاحب خلق حسن، ومنهم من يكون صاحب خلق سيءٍ قد يواجه الناصح بما يكره، من المنصوحين من يؤثِّر فيه الدليل ويردعه ويخاف الله، إذا سمع الآية أو الحديث خاف واستعظم أن يجاوز ذلك، ومن المنصوحين من يكون متساهلا لا يبالي بكلام الله وكلام رسوله ﷺ، فالناصح على هذا يحتاج إلى مراعاة أمور مهمة، في نصحه للمسلمين حتى ينفع الله تعالى بنصحه، فمنها:

وَسُئِلَ ابْنُ الْـمُبَارَكِ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: النُّصْحُ لله.

وَقَالَ مَعْمَرٌ: كَانَ يُقَالُ: أَنْصَحُ النَّاسِ لَكَ مَنْ خَافَ اللهَ فِيكَ. انتهى.

١) الإخلاص لله جل وعلا في نصحه: فلا يكون الدافع له إلى النصيحة الرياء فيرائي الناس أنه إنسان ناصح، وأنه يسعى في تغيير المنكرات، لا يكون الدافع له الرياء ولا السمعة، ولا حب الشهرة، ولا إرادة التقرّب من فلان أو فلان، بل عليه أن يُصحِّح النية، فالنصيحة هي تصفية النية، وإرادة الخير للمنصوح له، هذه هي النصيحة إزالة جميع الشوائب.

فأول ما ينبغي أن يراعيه الناصح في نصحه أن تكون نصيحته خالصة لله، يريد ألَّا يوجد هناك مخالفة لأمر الله ولأمر رسوله ﷺ، يريد أن لا يكون هناك بعض المسلمين على خطأ، أو مخالفة، أو ذنب، يريد نفع عباد الله جل وعلا فيكون مخلصا في نصحه، وهذا الأمر من أهمِّ ما ينبغي أن يحاسب المسلم عليه نفسه.

٢) هكذا من الأمور التي يراعيها الناصح في نصحه: -وهو متعلق بالذي قبله، وسبقت الإشارة إليه - أن يحذر من الخلط بين النصيحة وبين التوبيخ والتعيير، فإنهما يشتبهان، وقد يزيّن لك الشيطان تعييرَك لأخيك وتوبيخَك له بصورة نصيحة، فجاهد نفسك وحاسبها على هذا الأمر حتى لا تقع في المخالفة، فيزيِّن لك الشيطان أنك تريد إزالة مخالفة وتقع أنت في مخالفة، وقد سبق بيان الفرق بينهما.

٣) أيضا من الأمور المهمة التي يراعيها الناصح في نصحه: أن يكون نصحه سِرًّا، إلا إذا اقتضى المقام أن يجهر به، وإلا فأصل النصيحة أن تكون في السر، وعلى هذا كان السلف حكاه عنهم جماعة من أهل العلم، جاء عن معمر بن راشد، وقريب منه عن الإمام الشافعي وذكره الإمام ابن رجب في كتابه "جامع العلوم والحكم" بمعنى كلامهم: أن السلف كانوا إذا أراد أحدهم أن ينصح أخاه وعظه سرا فيما بينه وبينه. وكان الشافعي وغير واحد من السلف يقولون: ومن وعظك في السر فقد نصحك، ومن وعظك على رؤوس الناس فقد وبَّخك وعيَّرك(٣).

فأنت أيها الناصح تريد قبول نصيحتك، أنت تريد نفع أخيك المنصوح، فانصح له سرا فإن تأثيره في المنصوح أعظم، ولا تعيِّرْهُ أمام الناس، فقد يكون أخطأ؛ وإذا راجعته رجع

---

(٣) قال ابن رجب رحمه الله في "جامع العلوم والحكم" ص(٢٢٥): وَكَانَ السَّلَفُ إِذَا أَرَادُوا نَصِيحَةَ أَحَدٍ، وَعَظُوهُ سِرًّا حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَهِيَ نَصِيحَةٌ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ فَإِنَّمَا وَبَّخَهُ.

وَقَالَ الْفُضَيْلُ: الْمُؤْمِنُ يَسْتُرُ وَيَنْصَحُ، وَالْفَاجِرُ يَهْتِكُ وَيُعَيِّرُ.

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ: كَانَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ إِذَا رَأَى الرَّجُلُ مِنْ أَخِيهِ شَيْئًا يَأْمُرُهُ فِي رِفْقٍ، فَيُؤْجَرُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَإِنَّ أَحَدَ هَؤُلَاءِ يَخْرِقُ بِصَاحِبِهِ فَيَسْتَغْضِبُ أَخَاهُ وَيَهْتِكُ سِتْرَهُ. انتهى.

وفي الحلية لأبي نعيم (٩/ ١٤٠): بسند حسن عن الشَّافِعِيِّ رحمه الله، قال: «مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ نَصَحَهُ وَزَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وَخَانَهُ».

عن خطأه، وحتى لو انتشر هذا الخطأ فبيِّن له ذلك بينك وبينه واجعله هو الذي يبيِّن للناس أن ذلك الأمر خطأ، فتحصل الفائدة له وللمسلمين، وأما لو أَشهرتَ خطأه أمام الناس؛ ربما عاندك ونزغ الشيطان بينك وبينه، واستمر على ذلك الخطأ فلم ينتفع هو، ولم ينتفع المسلمون ببيان ذلك الخطأ لهم، ولم تسلم لك نيتك أيها الناصح.

فهذا هو الأصل في النصيحة أن تكون في السر، وما أحسن ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله:

تَعَمَّدني بِنُصحِكَ في اِنفِرادي ... وَجَنِّبني النَصيحَةَ في الجَماعَة
فَإِنَّ النُصحَ بَينَ الناسِ نَـوعٌ ... مِنَ التَوبيخِ لا أَرضى اِستِماعَه
وَإِن خالَفتَني وَعَصيتَ قَولي ... فَـلا تَـجزَع إِذا لَم تُعطَ طاعَة

فأصل النصيحة أن تكون في السر، وأن لا يُـجهَر بها، إلا إذا كان هناك باطل قد انتشر، وخطأ قد تفشَّى في الناس واعتقده الناس صوابا، ولم يرجع عنه صاحبه ويبيِّن للناس خطأ ما قاله أو فعله، أو كان في السكوت عنه مفاسد في الدين، فهنا لا بد من الجهر بالنصيحة؛ لأجل مصلحة المسلمين العامة، فهي مقدَّمة على المصلحة الخاصة وهي مصلحة المنصوح، فهنا لا بد أن نراعي المصلحة العامة التي هي مصلحة عموم المسلمين، وإلا فالأصل في النصيحة هو السر، وعدم الجهر بها.

٤) أيضا من الأمور التي ينبغي مراعاتها في النصيحة: أن لا تكون نصيحتك مشروطة بالقبول.

بعض الناس يجعل نصيحته كأنها قرآن لا بد أن تقبلها، وإذا لم تقبلها فأنت لم تقبل الحق، وقد يكون هو على غير الصواب، فهذا من الخطأ في النصيحة، فالواجب أن تبذل النصيحة ولا عليك من قبولها.

فلا تجعل نصيحتك مشروطة بقبول الناصح لها، وأنه يجب أن يقبلها وأن ينقاد لها، فقد تكون نصحتَ في أمر والذي عليه أخوك الذي نصحته له وجه من الصحة، أو قد يكون الذي هو عليه هو الحق وأنت على خطأ في نصيحتك، فلا تجعل نصيحتك مشروطة بالقبول، فأنت مُتَدَيِّنٌ بالنصيحة مُتَعَبِّدٌ بها، ولستَ آمِرًا أَمْرا لا بد من تنفيذه.

وفي كلامٍ جميل لابن حزم رحمه الله في هذا الموضوع فكان مما قال: فمن بذل النصيحة بشرط القبول فهو ظالم لا ناصح، وهو طالب طاعة لا مؤدٍ ديانة وعبادة، قال: بل هذا شأن الراعي مع رعيته، وشأن العبد مع سيده، لا شأن الأخ مع أخيه. بمعنى كلامه (٤).

---

(٤) قال ابن حزم رحمه الله في كتابه "مجموع رسائل" ص(٣٦٤): ولا تنصح على شرط القبول منك، فإن تعديتَ هذه الوجوه، فأنت ظالم لا ناصح، وطالب طاعة لا مؤدي حق ديانة وأخوة، وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة، ولكن حكم الأمير مع رعيته والسيد مع عبيده. انتهى.

فإذا كانت النصيحة مشروطة بأنها لا بد أن تُقبَل لم تصر نصيحة، بل صار أمرا يجب اتباعه، صار أمرا يجب تنفيذه.

فالناصح ينصح فإن قَبِل المنصوح نصيحته فالحمد لله وهذا هو المراد، وإن لم يقبل نصيحته برئت ذمته وأدَّى الذي عليه أمام الله، وهذا الذي لم يقبل النصيحة هو المتضرر، فإذا كان هناك ضرر يلحق المسلمين، بيّن هذا الناصح للمسلمين أن ذلك الشيء الذي قاله أو فعله فلان خطأ.

أما شيء في خاصة الإنسان وإذا لم يقبله، لا يلحق المسلمين منه ضرر، فلا على الناصح قَبِلَهُ هذا المنصوح أو لم يقبله.

فهذا أمر ينبغي للناصح أن يفهمه، لأن بعض الناصحين ينصح أخاه في خطأ، فإذا لم يستجب له، أعرض عنه، وجفاه، واعتقد أنه لا يقبل النصح، وربما يكون نصحه مرة واحدة، وفي خطأ واحد، وهذا من الخطأ، فليست النصيحة مشروطة بأن يقبلها المنصوح وإلا لا تكون نصيحة، بل ابذل النصيحة فإن قبلها فهذا الذي تريد وثبت أجرك على الله وصلح حال أخيك، وإذا لم يقبلها برئت ذمتك وثبت أجرك على الله وهو الذي يتحمل وزر خطأه، فلا تجعل نصيحتك مشروطة بالقبول.

٥) أيضا من الأمور التي ينبغي مراعاتها في النصيحة: أن يرفق بالمنصوح، فلا يُغلِظ عليه، لأن المنصوح له ما دام مخطأ يحتاج أن تُبَصِّرَه برفق.

واعلم أيها المسلم أنك تصل بالرفق إلى ثمرات ونتائج كثيرة لا تصل إليها بالعنف والشدة، فإن العنف والشدة في معاملة المسلم له مواضع في الشرع قليلة، والأصل هو الرفق، وقد أشار نبينا ﷺ إلى ثمرات الرفق الكثيرة بقوله: **«ما كان الرِّفْق فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»**. أخرجه مسلم (٢٥٩٤) عن عائشة رضي الله عنها، ومعنى زانه: – أي جمّله وحسَّنه– فنصيحةٌ فيها رفق تكون نصيحةً جميلة، لأن زانه من التزيين وهو التجميل، والشين هو العيب، فمعنى شانه: أي جعله مشينا معيبا، فأي شيء فيه عنف فهو معيب، وأي شيء فيه رفق فهو مُزيّن مُجمّل مقبول إلى النفوس **«ما كان الرِّفْق فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ»** تُريد أن تكون نصيحتك مزيّنة مجمّلة مقبولة تنفتح لها القلوب، جَمِّلْها بالرفق، واحذر العنف الذي ينفّر، والذي يشين، فقد تكون أنت على حق، ونصيحتك من أحسن النصائح وأعظم ما يكون من الخير، ولكن أخطأتَ في أسلوب نصحك، أخطأتَ في طريقة تقديم نصيحتك، فمتى تُقبل منك هذه النصيحة؟ والناس لا يستوون، لا تظن أن كل الناس مثلك في الانقياد للحق وسرعة الاستجابة له إذا سمعوه.

واسمع إلى قول الله لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون الطاغية ﴿**فقولا له قولا لينا**﴾ فرعون الذي يقول: أنا الله؟! يقول: أنا ربكم الأعلى؟! يقول لقومه: ما علمت لكم من إله غيري؟! قال الله لموسى وهارون حين أرسلهما إليه: ﴿**فقولا له قولا لينا**﴾ أي أن مثل هذا العاتي الجبار لو جئتموه بالكلام الغليظ لنفر منكم ولم يقبل، بل ربما قتلكم، وبطش بكم، والمقصود هو أن تنفعوه وتحاولوا إدخاله في الإسلام ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾.

ويقول نبينا ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**». أخرجه مسلم (٢٥٩٣) عن عائشة رضي الله عنها. فالله تعالى الذي هو على كل شيء قدير، والذي يقول للشيء كن فيكون، من أسمائه الرفيق ومن صفاته الرفق.

وفي هذا الحديث بشارة عظيمة لمن يتعامل بالرفق أن الله تعالى يعطيه مطلبه، ويحقِّق له مراده، بما لا يصل إليه بالعنف، فيعطيه الله على الرفق أجرا وثوابا، ويعطيه مطلبه الذي يطلبه، وقصده الذي يقصده، ويسهِّل له الوصول إليه بسبب رفقه.

ويقول نبينا ﷺ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْـخَيْرَ». أخرجه مسلم (٢٥٩٢) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه فإذا حُرِم الإنسان الرفق حُرِم الخير فلم يصل إليه، لأن الخير موصول بالرفق ومتعلق به.

وقال نبينا ﷺ: «إِذَا أَرَادَ الله بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ». أخرجه أحمد (٢٤٤٢٧) وغيره عن عائشة رضي الله عنها وهو حديث صحيح. حتى في بيت المسلم ونصحه لأبنائه وزوجته وأهله إن لم يكن بالرفق فاته الخير وحصل له خلاف ذلك.

فهذا أمر مهم إخواني في الله مراعاة الرفق بالمنصوح، فكم انفتحت من قلوب عاتية، وكم استجاب من أناس غليظون!! بسبب الرفق بهم.

وانظر إلى نبينا ﷺ كيف كان ينصح برفق ولين، في حين بعض الصحابة - رضي الله عنهم - كان يتألم من المنكر الذي يراه فيغلظ في القول، فيُعَلِّمه الرسول عليه الصلاة والسلام، فانظر إلى قصة الأعرابي الذي جاء وبال في المسجد فأنكر عليه الصحابة رضي الله عنهم وأن هذا مسجد بيت الله فكيف يرفع ثوبه ويبول أمام الناس؟ فقالوا: مَهْ مَهْ (وهي كلمة زجر) فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «دَعُوْهُ»، أمرهم أن يجعلوه يتم بوله، لأنه إذا لم يتم بوله يتضرر، ينحبس بوله فيحصل له ضرر والنبي ﷺ نبي الرحمة، وأيضا لأنهم إذا زجروه يقوم وهو يبول فيتناثر البول في أماكن كثيرة، بدلا من أن يكون البول في

مكان واحد يصير في أماكن كثيرة من المسجد، أيضا يتناثر البول على جسمه وثيابه، فانظر إلى هذه المصالح في تركه يواصل بوله، فلذا قال لهم رسول الله ﷺ دعوه، فلما انتهى من بوله دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ هَذِهِ الْـمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**». فانظر كيف تعامل معه الرسول ﷺ مع كونه ارتكب هذا الأمر الذي ينكره عليه كلُّ من يراه.

وهكذا جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي فِي الزِّنَى فَعجب الصحابة من هذه المسألة؟ وَقَالُوا : مَهْ مَهْ – يزجرونه – فقَالَ له النبي صلى الله عليه وسلم: «**ادْنُهْ**» فدنا منه، فقَالَ له: «**أَترضاه لِأُمِّكَ**»؟ ترضى أن أمك يأتي الناس يزنون بها؟ قَالَ : لَا يا رسول الله، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ. قَالَ: «**كذلك النَّاسَ لا يرضون لِأُمَّهَاتِهِمْ**». هذه التي تزني بها هي أم غيرك وهو لا يرضى لها ذلك مثل ما أنت لا ترضاه لأمك. ثم قال له: «**أَترضاه لِأُخْتِكَ**»؟. قَالَ : لَا يا رسول الله، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وكذلك النَّاسُ لا يرضونه لِأَخَوَاتِهِمْ**». قال: «**أَترضاه لِابْنَتِكَ**»؟. قَالَ : لَا وَالله يَا رَسُولَ الله، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ. قَالَ: «**كذلك النَّاسُ لا يرضونه لِبَنَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَترضاه لِعَمَّتِكَ**»؟... «**أترضاه لِخَالَتِكَ**»؟ يُعدِّد له الرسول ﷺ أقاربه من النساء، فصَوَّر له النبي صلى الله عليه وسلم الزنا في أهل بيته، كانت هذه الحقيقة غائبة عن ذهن هذا الشاب، لم يتخيَّل أن زناه بامرأة؛ هو معناه أنه يزني بأُمِّ غيره، أو بنت غيره، أو أخت غيره، أو عمة

غيره، أو خالة غيره، فصوَّر له النبي صلى الله عليه وسلم هذه الفاحشة في أهل بيته، فاستعظم الأمر، ورآه منكرا عظيما، فبعد ذلك وضع النبي ﷺ يده على صدر هذا الشاب ثم قال: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»**. فكان ذلك الشاب من أصلح الناس، ولا يلتفت إلى شيء من المحرمات.

فانظر إلى هذه النصيحة لما كانت برفق من الرسول - عليه الصلاة والسلام - كيف صيَّرَتْ هذا الشخص من إنسان يطلب الزنا إلى إنسان من الصالحين الأَعِفَّاء، وهكذا هدي الرسول – عليه الصلاة والسلام – في كثير من المواضع التي نصح فيها.

جاء في صحيح مسلم عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: **«إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»** أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذا الصحابي ﵁ حديث عهد بالإسلام تكلم في الصلاة لأنه لا يعرف أن الكلام في الصلاة محرم، فعلَّمه النبي ﷺ بهذا الرفق العظيم والكلمات الطيبة، فأثَّرتْ تلك الكلمات في قلبه وجعل يتذكَّرها.

فبهذا تعلم أخي المسلم أن النصيحة لا بد أن تكون برفق حين تبذلها لغيرك، وبذلك يكون لها الأثر البالغ، وهذا هو الأصل في النصح، وفي الدعوة، وفي معاملة المسلمين، أن يكون برفق، فإذا صُحِبتْ النصيحة بالرفق تؤثر وتثمر ويجعل الله تعالى فيها الخير، وإذا فُقِد منها الرفق فُقِدت منها البركة كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام وكان فيها الشين.

إخواني في الله هذه نصائح مختصرة في هذا الأمر المهم، وهو أمر النصيحة التي نحن بأمس الحاجة إليها، نحن كطلبة علم وكدعاة إلى الله تعالى وكسلفيين مصلحين، نسعى في إصلاح الناس وأحوالهم، لا بد أن نعلم عظمة هذه العبادة، وأن نتعلم آدابها، وما يتعلق بها؛ لتؤتي ثمراتها وليظهر خيرها علينا وعلى من ننصحه.

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، والحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

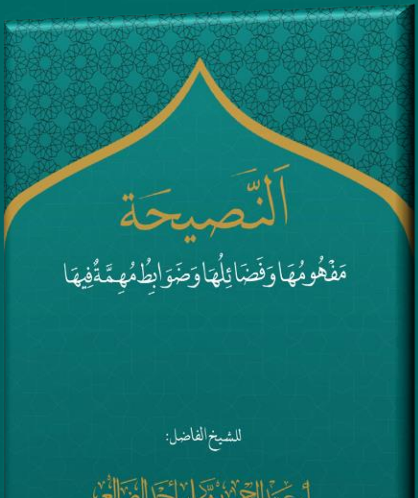

دَارُ الْحَدِيثِ السَّلَفِيَّةِ
لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ بِالضَّالِعِ